Journal of Al-Quds Open University for Humanities & Social Studies - No (66) – January 2025
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy
E-ISSN: 2616-9843/ P-ISSN: 2616-9835

From the Absence of the Well to the Absence of the Prison: The Story of Prophet Yusuf (Joseph)

Dr. Muhammad Khaled Mustafa Al-Momani

Associate professor, Salt Faculty for Human Sciences, Al-Balqa Applied University, Salt, Jordan.

Oricd No: 0009-0005-9069-0010
Email: Mohammad.momani@bau.edu.jo

Received:
10/ 07/ 2024

Revised:
10/ 07/ 2024

Accepted:
01/ 10/ 2024

***Corresponding Author:**
Mohammad.momani@bau.edu.jo

Citation: Al-Momani, M. K. M. (2025). From the Absence of the Well to the Absence of the Prison: The Story of Prophet Yusuf (Joseph) . Journal of Al-Quds Open University for Humanities and Social Studies, 7(66). https://doi.org/10.33977/0507-000-066-008

2025©jrresstudy. Graduate Studies & Scientific Research/ Al-Quds Open University, Palestine, all rights reserved.

- **Open Access**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4. 0 International License.

Abstract

Objectives: The research aims to provide a historical study of the story of Prophet Joseph, highlighting the lessons and morals it imparts. It begins with Joseph's vision, which includes eleven planets, the sun, and the moon prostrating to him, and ends with its fulfillment.

Methodology: The study depends on information from the Holy Quran and historical sources. It employs inductive and deductive analysis methods that align with the context of the events to reveal the underlying truths.

Results: The story of Joseph teaches us lessons about patience during adversity, and trust in God. Joseph's ability to transform challenging circumstances into positive outcomes enabled him to create opportunities and achieve his goals. He effectively seized the moment by interpreting the king's dream, ultimately leading to his appointment as Aziz of Egypt.

Conclusion: Joseph's patience during difficult times and his proactive measures played crucial roles in his release from prison, enabling him to attain the position of Aziz of Egypt. The historical lessons drawn from Joseph's story can motivate the Arab Islamic nation as it confronts contemporary challenges related to division, weakness, and the quest for strength.

Keywords: Joseph's life, the well, prison, Aziz of Egypt.

يوسف الصديق من غيابة الجب إلى غيابة السجن

د. محمد خالد مصطفى المومني

أستاذ مشارك، كلية السلط للعلوم الإنسانية، جامعة البلقاء التطبيقية، السلط، الأردن.

الملخص

الأهداف: يهدف البحث إلى تقديم دراسة تاريخية لقصة يوسف الصديق، مع إبراز الدروس والعبر التي تحملها. تبدأ الدراسة برؤية يوسف التي تتضمن أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر ساجدين له، وتنتهي بتحقيقها.

المنهج: تعتمد الدراسة على المعلومات من القرآن الكريم والمصادر التاريخية. ويوظف البحث أساليب التحليل الاستقرائي والاستنتاجي التي تتوافق مع سياق الأحداث للكشف عن الحقائق الكامنة.

النتائج: تُعلمنا قصة يوسف الصديق دروسًا عن الصبر أثناء الشدائد، والثقة بالله. إن قدرة النبي يوسف على تحويل الظروف الصعبة إلى نتائج إيجابية مكنته من خلق الفرص وتحقيق أهدافه. لقد اغتنم اللحظة بفعالية من خلال تفسير حلم الملك، مما أدى في النهاية إلى تعيينه عزيزًا على مصر.

الخلاصة: لعب صبر يوسف –عليه السلام– في الأوقات الصعبة وإجراءاته الاستباقية دورًا حاسمًا في إطلاق سراحه من السجن، وتمكينه من الوصول إلى منصب عزيز مصر. إن الدروس التاريخية المستفادة من قصة يوسف يمكن أن تشكل دافعاً للأمة العربية الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة المتعلقة بالإنقسام والضعف والسعي إلى القوة.

الكلمات الدالة: حياة يوسف الصديق، غيابة الجب، السجن، عزيز مصر.

المقدمة

تُعد قصة سيدنا يوسف من أحسن القصص العميقة والملهمة التي وردت في القرآن الكريم بانفرادها في سورة يوسف كاملة ومتكاملة من بداية أول آية إلى آخر آية، تحكي هذه القصة قصة حياة يوسف الصديق، الذي مر بتجارب صعبة وتحديات كبيرة، إلا أنه استطاع أن يتجاوزها بحكمة وصبر وثقة في الله. تتضمن القصة العديد من العناصر المهمة والرسائل الضمنية التي نستقي منها الدروس والعبر.

تتسم قصة سيدنا يوسف بعمقها النفسي وتعقيدها الذي يتيح لنا فهمًا أعمق للعلاقات الإنسانية، والاختبارات التي تواجهنا في الحياة، والتوجهات الرشيدة التي يجب أن نتبعها في مواجهة تلك التحديات. إنها قصة عن الحق والباطل، والصبر والثبات، والعدل والمغفرة، والتسامح والتوبة. تلهمنا قصة يوسف بأن نكون أشخاصًا أفضل وأن نتعامل مع الآخرين بالعدل والرحمة، وأن نستخدم قدراتنا ومهاراتنا لتحقيق النجاح والتفوق.

قصة سيدنا يوسف تحمل في طياتها أهمية كبيرة للدراسة والتأمل. لما تتضمنه من عمق في الأسس الأخلاقية، فهي تعلمنا كثيرًا عن الصبر، والعدل، والتسامح، والحكمة، والتوكل على الله. تُعد هذه القصة مصدرًا للإلهام والتوجيه الروحي، وتوفر لنا نماذج قوية للتعامل مع التحديات والاختبارات في حياتنا؛ لذا فإن دراسة حياة سيدنا يوسف الصديق وتطورها ومراحلها وما يتبع كل مرحلة ابتلاء فرج وعلو تعد ضرورية لفهمنا العميق للقيم الأخلاقية والروحانية وتلهمنا لتحقيق النجاح والسعادة في حياتنا.

تتناول هذه الدراسة رؤى يوسف ومؤشرات نبوته، وكيد إخوته له، وإلقائه في الجب، ثم خروجه منه وبيعه عبدًا في سوق النخاسة بمصر لعزيزها التي أُعجبت زوجته زليخا به، وراودته عن نفسه، وما تبع ذلك من دخوله للسجن، وخروجه منه ذا منصب رفيع المستوى، وتأتي هذه الدراسة متابعة لدراسةٍ سابقةٍ منشورة سنة 2017م تتضمن حياة النبي يوسف الشخصية.

إن قلة الدراسات الجادة وندرتها في هذا الموضوع تحديدًا، وصبغه بصبغة العموم دون تخصيص، والاعتماد على المعلومات الواردة في كتب التفسير القديمة والمحدثة من مثل: كتاب أبي حيان (2010)، والآيجي (2004)، وابن أبي زمنين (2002)، والثعالبي (د. ت)، والجرجاني (2009)، والناصري (1985)، والعمرو (2015)، والشعراوي (1991)، هو ما دفعني لخوض غمار هذه الدراسة من الجانب التاريخي، آملًا أن يكون عملي خالصًا لوجهه الكريم، ونافعًا، ومضيفًا إضافةً نوعيةً تملأُ فراغًا في المكتبات العربية الإسلامية.

مشكلة الدراسة

تعاني الدراسات السابقة المتعلقة بقصة يوسف الصديق من قلة الانتباه والتركيز على محطات حياته التي تتعلق بالغيابة، سواء كانت في فترة غيابته عن أهله ووطنه في الجب، أو غيابته عن الحرية والاعتقال في السجن، وتندرج هذه الدراسة ضمن هذا السياق، حيث تهدف إلى استكشاف تلك المحطات، وتحليلها، وفهم أهميتها وتأثيرها على مسار حياة يوسف الصديق.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على حياة يوسف الصديق بدءًا من الرؤى التي قصها على والده النبي يعقوب، وكيد إخوته له، وإلقائه في الجب حتى وصوله إلى السجن، ومن ثم تحقيقه للمكانة العالية في مصر. وتحقيقًا لهذا الهدف، سيتم استعراض الأحداث وتحليلها، والمؤشرات التي وردت في القرآن الكريم والمصادر التاريخية المتعلقة بحياة يوسف الصديق.

وفيما يلي تفصيل لأهداف الدراسة:

- دراسة رؤى يوسف الصديق وتفسيرها، وكيف أدت إلى تحقيقه للمكانة العالية في مصر.
- دراسة محطات غيابة يوسف الصديق في الجب والسجن، وتحليلها.
- فهم أهمية تلك المحطات وتأثيرها على حياة يوسف الصديق وتطوره الشخصي.
- تحليل التحديات التي واجهها يوسف الصديق في فترات الغيابة وكيفية تعامله معها.
- استكشاف أثر الصبر والثقة بالله في حياة يوسف الصديق وكيف أسهمت في تجاوزه للتحديات، وأصبح عزيز مصر.
- فهم أهمية قصة يوسف الصديق كمصدر للعبر والدروس القيمة في الحياة.

أهمية الدراسة

تتجلى أهمية هذه الدراسة في جوانب عدة:

- إبراز قيمة قصة يوسف الصديق في القرآن الكريم وأهميتها، وتسليط الضوء على الدروس والعبر التي يمكن استخلاصها منها.
- فهم تجربة يوسف الصديق كنموذج للتحديات التي يمكن أن تواجه الأفراد في حياتهم وكيفية التعامل معها بالصبر والثقة بالله.
- توفير دراسة شاملة ومحدثة لحياة يوسف الصديق، تعتمد على المصادر التاريخية والقرآن الكريم، وذلك لإثراء المعرفة حول هذه الشخصية الهامة.
- تسليط الضوء على تأثير القصص القرآنية في بناء الشخصية وتطوير القيم والمبادئ الإنسانية.

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة المناهج الآتية:

- الاستقرائي: جمع المعلومات بطريقة الاستقصاء، ثم فهمها، وفرزها، وتصنيفها، بما يتوافق مع الفترة الزمنية من جهة، وكيفية تطبيقها عمليًا من جهة ثانية.
- التحليلي: توضيح المصطلحات والمفاهيم المتعلقة في مراحل حياة سيدنا يوسف الصديق بشيء من التفصيل، وتحليل تطورها تاريخيًا من خلال الروايات والأحداث والوقائع والظروف التي تعرض لها يوسف –عليه السلام–.
- الاستنباطي: الوصول إلى ما يمكن الوصول إليه من حقائق ودروس وعبر، وحكمة الله –عز وجل– في الابتلاءات التي مر بها يوسف الصديق.

محتوى الدراسة

لقد تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث، هي:

- المبحث الأول: رؤى يوسف وكيد إخوته

واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: رؤى يوسف ومؤشرات نبوته.

المطلب الثاني: كيد إخوة يوسف الصديق.

- المبحث الثاني: يوسف الصديق من غيابة الجب إلى قصر العزيز.

واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يوسف الصديق في غيابة الجب.

المطلب الثاني: يوسف الصديق من الجب إلى قصر العزيز.

المطلب الثالث: يوسف الصديق في قصر عزيز مصر (عصمة يوسف من الفاحشة) .

- المبحث الثالث: يوسف الصديق من غيابة السجن إلى صدارة مصر.

واشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يوسف الصديق في غيابة السجن.

المطلب الثاني: تعبير يوسف لرؤيا الملك.

المطلب الثالث: رفعة يوسف الصديق وصدارة مصر.

المبحث الأول: رؤى يوسف وكيد إخوته

المطلب الأول: رؤى يوسف ومؤشرات نبوته

ظهرت بعض المؤشرات التي تدل أنه سيكون ليوسف شأن عظيم منذ صغره، ذلك أنه رأى في منامه في منطقة (سيلون) من أعمال فلسطين (العلمي، 1936م، 248/1) ثلاث رؤى متفرقة قصها على والده النبي يعقوب فأدرك نتائجها مسبقاً؛ الرؤيا الأولى فيها إنه بينما كان يلعب ذات يوم غلبه النعاس فنام، فلما أفاق وجد أخته دينا واقفة على رأسه فقال لها: رأيت في منامي أنني أحتطب وإخوتي، وجمع كل واحد منا حزمة، فإذا بحزم إخوتي لونها أسود وحزمتي بيضاء، ثم أن حزمهم سجدت لحزمتي،

ثم رأيت رجلاً رأسه في السماء ورِجلاه على الأرض عليه ثياب بيض، وفي يده ميزان، فدنا مني ورحب بي وحيَّاني، ثم وضع حزمتي وحزم إخوتي في الميزان فرجحت حزمتي، ثم قام إخوتي فسجدوا لي (ابن الهيصم، 2006م، 230؛ العلمي،1936م، 198/1)، وقيل بل إنه رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصًا طوالًا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة، وإذا عِصيًّا صغيرة تثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها (الجرجاني، 2009، 1079؛ العلمي، 1936م، 991/3).

والرؤيا الثانية: أن يوسف شاهد نفسه يجلس على رأس جبل، فإذا بعشرة من الذئاب أقدموا عليه ليقتلوه. وظهر له أن ذئبًا واحدًا يعمل على حمايته، وبينما هو على ذلك انشقت الأرض وابتلعته، ثم خرج منها بعد ثلاثة أيام (ابن الأثير، 1979م، 139\1).

والرؤيا الثالثة وهي المشهورة: أن يوسف قبل أن يحتلم (ابن كثير، د. ت، 271؛ الأوسي،2003، 35) وتحديداً في الثانية عشرة من عمره (أبو حيان، 2010، 237/6)، وعلى الأرجح في السابعة عشرة (العلمي، 1961، 216/1، 219) رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر قد سجدوا له، }إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ{]يوسف: 4[، فقصّ هذه الرؤيا على والده، فاغتم وأدرك بأن إخوته سيكيدون له؛ وأمره ناصحاً له بكتمان رؤياه، }يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا{]يوسف: 5[، (ابن الهيصم، 2006، 322–331؛ الجرجاني، 2009، 1079، 991/3)، عطفاً وحناناً عليه (الشعراوي، 1991 ص 847) مما يدل على أن كتم النعمة جائز– حتى تظهر– خشية الحسد، وأن الحذر لا بدّ منه، وضرورة التحرز مما يخشى ضره (السعدي، 2000، 21–22)، وأبقاه سنة كاملة إلى جانبه لا يفارقه (ابن الهيصم، 2006، 230) وخاف عليه من أن يأكله الذئب عندما خرج مع إخوته (ابن الأثير، 1979، 139/1). هذا، ومما يجدر ذكره فيما نراه أن هذه الرؤى لم تأت مرة واحدة، وإنما جاءت بفترات متفاوتة الأولى وهو ابن سبع سنين والثانية وعمره اثنتا عشرة سنة، والثالثة المشهورة وعمره سبع عشرة سنة.

المطلب الثاني: كيد إخوة يوسف الصديق

عرف إخوة يوسف بهذه الرؤى عن طريق إحدى زوجات أبيهم يعقوب، أو من أحد الخدم (العلمي، 1961 222/1) فرفضوا حتى حُلُمَه ؛ لأنه أعلن مجده، وسموه ورفعته، فازداد حسدهم وحنقهم وبغضهم وغيظهم عليه لحب أبيهم له (فكري، د. ت، 6؛ الطبري، د. ت، 331/1؛ الطبري، د. ت، 332/4) ولأنه ليس شقيقهم من أمهم، ولاختلاف طباعهم عن طباعه، ولاعتقادهم أنه يترفع عليهم في عدم مشاركتهم برعي الغنم (الناصري، 1985، 167؛ العلمي، 1961، 281/1 – 283)، وغيرتهم منه، وخشيتهم من أن يصبح ملكاً عليهم (فكري، د. ت، 6؛ ابن الهيصم، 2006، 231) وكأن لسان حاله يقول "أنتم عبيدي وأنا سيدكم" (الأوسي، 2003، 34) فاجتمعوا للمشورة، وارتأوا إبعاد أخيهم يوسف عن أبيه، وتغييبه وتغريبه عنه وتآمروا على قتله }اقْتُلُوا يُوسُفَ{]يوسف: 9[بمشورة من أبناء ليا روبيل وشمعون ولاوي ويهودا (ابن حبيب، د. ت، 5؛ اليعقوبي، د. ت، 30/2–31؛ المسعودي، 1973، 47/1؛ 1961)، ثم ما لبثوا أن اتفقوا على إلقائه في غيابة الجب (البئر) (الطبري، د. ت، 331\1؛ ابن الهيصم، 2006، 232) }لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ{]يوسف: 10[، ذلك أن القتل أمر عظيم (ابن الهيصم، 2006، 232) – وفي هذا أن بعض الشر أهون من بعض وأن المشاورة نافعة في كل شيء حتى في تخفيف الشر– ، وكان السبيل إلى تحقيق ما اتفقوا عليه أنهم جاؤوا على أخيهم الصغير يوسف وأغروه للخروج معهم ليأكل ويشرب وليلهو ويلعب، وطلبوا منه إقناع والده بذلك، فلما هم الأخوة بالخروج تحايلوا على والدهم وأقنعوه بالتعاون مع يوسف على أن يخرج معهم (ابن كثير، د. ت، 274) }يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ{]يوسف: 11[، وتمثل ذلك في طلب يوسف من أبيه (يا أبت أرسلني معهم) قال: أوتحب ذلك، قال: نعم؛ فاستسلم الوالد الحريص لطلبهم بعد تردد لخوفه عليه لصغر سنه وخشية انشغالهم عنه، وأذن لابنه الخروج معهم (ابن الأثير، 1979، 139\1؛ أبو حيان، 2010، 247/6)، من سيلون إلى دوثان قرب نابلس قائلاً له: "والله يا بني لولا أن أرى من حرصك على الخروج مع إخوتك ما أذنت لك ولكن أخرج فإن الله –عز وجل– خليفتي عليك" (ابن الهيصم، 2006، 233). ومما يروى أن يوسف لم يخرج معهم وإنما أرسله والده ليطمئن على سلامتهم وسلامة الغنم في دوثان شمال نابلس (العلمي، 1961 366/1).

قام النبي يعقوب بتقميص ابنه يوسف بقميصه، وعمه بعمامته، وأرسل في عنقه وشاحًا، وأتى بشن صغير، فملأه لبنًا وبإداوةٍ صغيرة، فملأها ماء، وبمزود فجعل فيه تمراً وطعاماً (الأوسي، 2003، 35)، ثم أوصاه قائلاً له: "يا بني لا تنسى الله –عز وجل– حيث كنت فينساك" (ابن الهيصم، 2006، 233)، وبعد ذلك أوصى يعقوب أولاده الحرص على أخيهم والعطف عليه والتعهد له (ابن الهيصم، 2006، 233، أبو حيان، 2010، 247/6) مخاطباً روبيل بعد أن سلمه يوسف قائلاً له: "يا روبيل

إنه صغير، وتعلم يا بني شفقتي عليه، فإن جاع فأطعمه، وإن عطش فاسقه، وإن أعيا فاحمله ثم عجل برده إليّ" (القرطبي، 1272، 141/9؛ الأوسي، 2003، 35).

خرج يوسف مع إخوته على غير رضا داخلي من أبيه لأنه سيبتعد عنه مع إخوةٍ له لا يحبونه، وربما يظفرون به، إضافة إلى خوفه عليه من أنْ يفترسه ذئبٌ في منطقة كثيرة الذئاب (العلمي، 1961، 353/1–360).

المبحث الثاني: يوسف الصديق من غيابة الجب إلى قصر العزيز

المطلب الأول: يوسف الصديق في غيابة الجب

عمل إخوة يوسف بوصية والدهم بإكرام أخيهم وحملوه على أكتافهم واحداً تلو الآخر، حتى غابوا عن عينيه، وهو مسرور لخروجه للتنزه وإخوته مسرورون لتحقق مرادهم، ودخلوا الصحراء (البرية) فقاموا بتضليله وتضييعه حتى ابتعدوا عن المكان (فكري، د. ت، 2/37؛ الأوسي، 2003، 35–36؛ السيوطي، 2011، 501) ثم كشفوا لثامهم، وأظهروا لأخيهم الكراهية والعداوة بالإهانة والشتم والضرب، والجفاء، وحرمانه من تناول الطعام، وشرب المياه (ابن إياس، 2003، 106؛ لجنة، د. ت، 291/5). وعمدوا بعد ذلك إلى تنفيذ ما اتفقوا عليه قبلاً وهو إلقاؤه في غيابة الجب "البئر" " في دوثان وفعلوا ذلك (ابن الأثير،1،138/1979؛ابن الهيصم،2006، 233) ومما يروى أن صاحب اقتراح إلقاء يوسف في الجب هو أخوه روبيل، وقيل بل إن صاحب الرأي هو يهوذا (الأوسي، 2003، 37)، وأنهم لما ألقوه بالجب نزعوا عنه ثيابه، وكان عمره سبع عشرة سنة (فكري، د. ت، 8)، رغم عدم ارتياحهم لهذه الفعلة (قطب،1971، 4\700)، ولما أنزلوه البئر تضرع يوسف لأخيه يهوذا بأن يعيده لأبيه، وتعهد له بأن لا يخبر أباه بشيء مما حصل، فأبوا عليه إخوته ذلك (ابن الأثير، 1979، 1\139؛ ابن إياس، 2003، 106)، فاستقر نزول يوسف على صخرة في البئر تظهر عندما تقل مياه البئر (السيوطي، 2011، 501)، قد أمر الله بإنباتها، وأمر جبريل بأن يجلس يوسف عليها، ومن فوق هذه الصخرة خاطب يوسف أخاه يهوذا الذي كان يأتي ليطمئن عليه حي هو أم ميت (ابن الهيصم، 2006، 234) وقيل إن يوسف خاطب إخوته جميعهم قائلاً: "يا إخوتي إن لكل ميت وصية، ووصيتي إليكم: إذا اجتمعتم فاذكروا وحدتي، وإذا شربتم فاذكروا عطشي، وإذا طعمتم فاذكروا جوعي، وإذا آنستم فاذكروا وحشتي، وإذا رأيتم شابًا ذا صورةٍ حسنة فاذكروا شبابي وصورتي" (الأوسي، 2003، 47)، وقيل إنه قال لأخيه يهوذا موصيًا له: "إن لكل ميت وصية ووصيتي إليك أن لا ترى شابًا إلا ذكرت شبابي ولا صورة حسنة إلا ذكرت حسني، ولا مظلومًا إلا ذكرتني، وأسألك أن لا تخبر الشيخ بشيء مما جرى عليَّ فإن قلبه لا يحتمل ذلك" (ابن الهيصم، 2006، 236) ؛ فبكى يهوذا. لكن إخوته هددوه بقتل يوسف إن فعل أي شيء، فهددهم بذكر الأمر لأبيهم (ابن الهيصم، 2006، 236) .

نزع إخوةُ يوسف قميص أخيهم (ابن الهيصم، 2006، ص234، ابن الأثير، 1979، 1\139) ولطخوه ولوثوه بدم جدي (ابن الهيصم، 2006، ص236؛ القرطبي، 1272م، 9\149، الثعالبي، د. ت، 1471 2/227). (ماعز) أو (سخلة) (ابن أبي زمنين، 2002، 318/2) أو ظبية (الماوردي، د. ت، 3/ 15)، ومما يروى أنهم أخذوا قميص يوسف من البئر بعد أخذ القافلة له (فكري، 2/37)، وعادوا به إلى أبيهم وقت العشاء ليلاً وهو غير الوقت الذي اعتادوا الرجوع فيه –ما بين العصر والمغرب– (ابن الهيصم، 2006، ص236؛ أبو حيان، 2010، 249/6). مدّعين ومظهرين الحزن والبكاء على أخيهم قائلين لوالدهم إن يوسف قد أكله الذئب }وَجَآءُو أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ* قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ{]يوسف: 16–17[، فصاح أبيهم راداً عليهم }بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا{]يوسف: 18[– أي قمتم بدسيسة أو خديعة أو مؤامرة فأنتم الذئاب – وقائلاً: "تالله ما رأيت ذئبًا أحلم من هذا! أكل ابني ولم يشق قميصه (ابن الأثير، 1979، 1/140؛ القرطبي، 2010، 1\149) ثم سقط مغشيًا عليه من هول ما سمع حزناً على ابنه يوسف فقال يهوذا لإخوته: "يا إخوتاه الويل لنا من الله عز وجل ضيعنا أخانا يوسف وقتلنا أبانا يعقوب" (ابن الهيصم، 2006، ص237؛ أبو حيان، 2010، 249/6). ومما يروي أن النبي يعقوب كان قد رأى رؤية مفادها بأن ذئبًا يأخذ يوسف وقيل عشرة ذئاب (القرطبي، 2010، 9\140؛ الأوسي، 2003، ص35)، وأن الأرض انشقت وابتلعت يوسف ثم خرج منها (ابن الهيصم، 2006، ص233، الأوسي، 2003، ص35)، ورغم أن رؤية الأنبياء حق إلا أن تفسيرها يحتاج لمعبر، يُحدث العقل والمنطق، لذا فإن هناك رواية أخرى تفيد بأن النبي يعقوب سأل أولاده: كيف أكل الذئب يوسف ولم يمزق قميصه، فجاءوا بالذئب فسأله يعقوب فأجابه "يا نبي الله أنا لم آكل ابنك فإن لحوم الأنبياء حرام علينا معشر السباع" (الأوسي، 2003، 49؛ ابن إياس، 2003، 107)، وفي رواية أخرى "... والذي اصطفاك نبياً ما أكلت له لحماً، ولا مزقت له جلداً وما لي به علم... " (الأوسي، 2003، ص49؛ ابن إياس، 2003، 107).

ومهما يكن من أمر فإن البكاء لا يدل على صدق المقالة وأن النبي يعقوب حزن حزناً شديداً –وهذا مما ابتلاه الله به– (ابن الهيصم، 2006، 280) من مؤامرة أولاده على أخيهم يوسف، وافتقاده له – وشاركه في حزنه ليا خالة يوسف وأخيه بنيامين– ، ولبس مئزراً أسود ودخل في بيت الأحزان، ولزم الصبر دون جزع أو فزع أو شكوى لمخلوق (ابن الهيصم، 2006، 237)، ووصل به الحال إلى ما وصفه الأعرابي ليوسف عندما التقاه بمصر وسأله عن أبيه يعقوب بقوله" تركته وقد انحنى صلبه، وتقوس ظهره، وتضعضع ركنه، وكابده الشيب قبل أوانه، وقد ترك أهله، وهجر أولاده، وبنى على تل كنعان بيتاً سماه بيت الأحزان يبكي فيه وينوح على قرة عين له اسمه يوسف اختلس من بين يديه... " (الأوسي، 2003، 86).

لقد خشي النبي يعقوب مجادلة أولاده حتى لا يعودوا ويلحقوا الأذى بيوسف أكثر فأكثر ويقتلوه، ولظنه بالله خيرًا، وشعوره اليقيني بعدم صدق أولاده، لكن ما الحل وجرحه في كفه فكلهم أولاده، ولا حول ولا قوة الا بالله.

مكث يوسف في البئر القديم المهجور نوعاً ما ثلاثة أيام (ابن الهيصم، 2006؛ 238؛ ابن الأثير، 1979، 140/1). حماه الله فيها من أي مكروه (الأوسي، 2003، 62)، ومما يروي أن جبريل –عليه السلام– كان يزوره بأدعية يستغيث الله فيها (السيوطي، 2011، 501؛ العلمي، 1961، 383/1)، وكان يأتيه بطعام أهل الجنة، وقيل إن أخاه يهوذا كان يأتيه به) الطبري، د. ت، 332/1؛ ابن إياس، 2003، ص108)، وأن الله –سبحانه وتعالى– جعل مياه البئر عذبة لتغني يوسف عن الطعام والشراب، ثم أن يوسف لبس قميصًا كان قد أعطاه إياه أبوه يعقوب عندما قص عليه رؤياه (ابن الهيصم، 2006 234–235) ومما يروى أن النبي يعقوب قد قام بنسج هذا القميص من خيوط الكتان بيده لابنه يوسف، وهذا القميص لونه أخضر، ومصنوع من حرير أهل الجنة كان قد أعطاه جبريل –عليه السلام– للنبي إبراهيم ليقيه من النار التي ألقي فيها، ثم أعطاه إبراهيم لابنه إسحاق ومن إسحاق ليعقوب ومنه لابنه يوسف (قطب، 94؛ فكري، د. ت، 8)، وكان قد أمره بلبسه تحت ثيابه على الجسم مباشرة، وأوصاه بعدم خلعه (ابن الهيصم، 2006، 234)، وقيل إنه وضعه بمعاذة – تعويذة، قلادة– وعلقها بعنقه حتى جاء جبريل وأخرجه منها في البئر وألبسه إياه (الأوسي، 2003، 62) وجاء وحي الله الحق إلى يوسف قائلاً له "إني مخرجك من الجب ومرسلك إلى مصر، وجاعل أهل مصر عبيدًا لك، يخدمك الجبايرة، وتذل لك الملوك، وتكون لك اليد العليا على إخوتك تحكم فيهم بمرادك" (الأوسي، 2003، 62؛ العلمي، 1961، 382/1).

وبينما يوسف في رابع أيامه (ابن الأثير، 1979، 140\1؛ ابن إياس، 2003، 108) بالبئر مرت قافلة تجارية –أطلق عليها لقب سيارة في القرآن الكريم لكثرة سيرها في هذا الطريق (أبو حيان، 2010، 244/6، الشعراوي، 1991، 6895) – قادمة من الشام– (القرطبي، 1272، 152\9، الأوسي، 2003 62) وقيل إن القافلة قادمة من جلعاد أرض مدين (فكري، 2/37؛ ابن إياس، 2003، 108) (بحيرة طبرية – بيسان – جنين – دوثان – السامرة "سبيطلة" – جلجولية – يافا – اللد – غزة – العريش – صحراء التيه "سيناء" – مصر) (ابن الهيصم، 2006، 238)، وقيل من اليمن (ابن الأثير، 1979، 140\1)، متجهة إلى مصر بتجارتها المحملة بالفستق والصنوبر والبطم (القرطبي، 1272، 152\9؛ ابو حيان، 2010، 251/6)، مكونة مما يزيد عن ثلاثمائة رجل (الأوسي، 2003، 62) "وأهلها ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا " عليهم مالك بن ذعر (دعر، زعر) بن نويث (نويب) بن عفقا بن مديان بن إبراهيم الخزاعي، وكنيته أبو ولاية (الجرجاني، 2009، 1079، 994/3؛ الثعالبي، د. ت، 228/2) الذي أرسل بدوره الغلامين بشار وبشرى لاستقاء الماء للقافلة (العلمي، 1961 432/1).

فذهب بشرى لقضاء حاجة، وألقى بشار بدلوه (وعاء) في البئر (الأوسي، 2003، 62؛ ابن كثير، د. ت، 276) فإذا بيوسف قد تعلق بحبله (الرشاء) به، ففوجئ بشار ونادى بشرى (الطبري، د. ت، 437/4، 334/1؛ لجنة العلماء، د. ت، 296/5). ﴿يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ [يوسف: 19]، ومما جاء في التفسير الغبطة والسعادة التي أصابت بشار عندما رأى جمال يوسف، ومما أطلق على يوسف من الألقاب إضافة الى " غلام " لقب " مخلص "، "فتى "، " ملك كريم "، " الصديق "، " مكين أمين "، " حفيظ عليم "، " العزيز " (المومني، 2017، 138–145، 143–144؛ الشعراوي، 1991، 6895).

المطلب الثاني: يوسف الصديق من الجب إلى قصر العزيز

خرج يوسف من البئر وعلم إخوته بذلك، لأنهم كانوا يراقبونه عن قرب، فلحقوا بالقافلة ودار حديث بينهم وبين قائد القافلة مالك والغلامين بشار وبشرى، وكانت النتيجة على الأرجح بيع الإخوة لأخيهم بعقد مكتوب–ضماناً لإبعاد يوسف عن أبيه وعدم العودة إليه – بخط روبيل– (ابن الهيصم، 2006، 282–283؛ الأوسي، 2003، 64) علماً بأن يهوذا هو الذي أشار على إخوته ببيعه (فكري، د. ت، 9). وقد جاء في العقد: " باسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، هذا ما اشترى مالك بن دعر الخزامي

من أولاد يعقوب، وهم فلان وفلان وفلان مملوكهم يوسف... بعهد الله وميثاقه" (الأوسي، 2003، 64) بعد أن هددوا يوسف بالعبرانية إقرار صحة ما يقولون (الثعالبي، 1471، 229/2، 253؛ لجنة العلماء، د. ت، 297/5) – بدراهم معدودة من الفضة (فكري، د. ت، 9؛ الشعراوي، 1991، 6896) قدرت ب 17، 20، 22، 30، 40 (ابن أبي زمنين، 2002، 319/9) ومما يروى أن هذه الدراهم. تم اقتسامها بينهم بواقع درهمين لكل واحد منهم إن كانت 20 درهمًا (ابن كثير، 1985، 189/1؛ الأوسي، 2003، 64). أي بثمن بخس زهيد وقليل جداً وناقص كماً وكيفاً، فكل ما هو أقل من أوقية (40 درهم) لا يوزن (أبو حيان، 2010، 253/6، لجنة العلماء، د. ت، 5/ 298)؛ بسبب رغبتهم في التخلص منه، وقيل لأنه نظر يوماً في مرآة فأعجب بنفسه وحسنه، وقال في سره: لو كنت مملوكاً ما قدر أحد على ثمني، فسلط الله عليه إخوته وباعوه (ابن إياس، 2003، 105)، على الرغم من أنّ هناك روايات تشير إلى عدم بيعهم له؛ لأن بيع الحُرِّ من الدناءة ومن الذنوب (ابن الهيصم، 2006، 240؛ العلمي، 1961، 456/1).

ووفق ابن أبي زمنين بين من قال إنهم باعوه، ومن قال إنهم لم يبيعوه في تفسيره لقوله تعالى: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ"] يوسف: 20[بأنهم باعوه بيعاً محرَّماً، ذلك أنّه حر، ولم يكن يحل بيع الحر في ذلك الزمان (ابن أبي زمنين، 2002، 319\2)، والحقيقة أن إخوة يوسف أخبروا مالكًا بأن يوسف هذا أخ لهم من جارية تزوجها أبيهم اسمها راحيل، وأن يوسف عاش معهم كأنه حر (الأوسي، 2003، 63).

ودع يوسف إخوته قائلًا لهم: " حفظكم الله وإن ضيعتموني، آواكم الله وإن طردتموني، رحمكم الله وإن لم ترحموني" (الأوسي، 2003، 66)، ومما قيل" الوداع أيها الإخوة الذين طردوني وشردوني من بينهم، وأبعدونني عن أبي الشيخ الجليل، وعن أخي الوحيد اللطيم... وإنكم قد ألقيتموني هذه المرة في الجب ارتكابًا لأخف الضررين المناسب لسني، فأخاف لو رجعت وبقيتم على ما أنتم عليه من العداء والمناوأة أن تلجأوا لاستعمال أشد الضررين" (العلمي، 1961، 441/1). وودع أباه ولسان حاله يقول: " الوداع أيها الوالد المحب المخلص، الوداع أيها الشيخ الجليل، فقد كنت محبًا لي هذا الحب، ولكنك متغلب عليك من أولادك المستبدين، فالسكنى معك محفوفة بالخطر، فالسباق السباق لمصر، واللحاق اللحاق لدار الحرية" (العلمي، 1961، 442/1). وودع قبر أمه بمقابر آل كنعان باكياً ومخاطباً لها: "يا أماه، ارفعي رأسك من التراب تري ولدك مقيداً مغلولاً، يا أماه إخوتي في الجب طرحوني، وعن أبي فرقوني، وبأبخس الأثمان باعوني، ولم يرقوا لصغر سني، ولم يرحموني... " (الأوسي، 2003، 66).

سار يوسف مع القافلة بهدوء وسكينة غير مظهر لهم من هو وما هي قصته، غير محاول الهرب منهم، رغبة منه في الخلاص من إخوته، وباحثاً عن النجاة والأمن، وفي الطريق أساء العبد الموكول ليوسف إلى يوسف فصفعه صفعة أغشته، فأثار الله عليهم الغبار، وتحول النهار إلى ليل وظلام وسواد، فدعا مالك القوم للاستغفار إن أحد أخطأ، فأخبر العبد سيده بما وقع، فخير مالك يوسف بين القصاص أو العفو، فأخذ العفو (الأوسي، 2003، 66).

وصلت القافلة لسوق مصر، وهناك عرض يوسف للبيع في سوق الرقيق (النخاسة)، بعد أن اغتسل وتزين ولبس أجمل الثياب، وركب أحسن الدواب (الأوسي، 2003، 80)، فاشتراه عزيز مصر أو مسؤول خزانتها أو كبير وزرائها (الطبري، د. ت، 340/4؛ أبو حيان، 2010، 254/6؛ ابن إياس، 2003، 109) قوطيفار (قوطفير، قطفير، أطفير) بن روحيت (ابن كثير، د. ت، 277؛ الثعالبي، د. ت، 230/2) لارتفاع ثمنه البالغ عشرين ديناراً (ابن كثير، 1985، 189\1) وقيل إنه تم بيعه بثمن لا يعلمه إلا الله لارتفاعه (الأوسي، 2003، 81)، أو بوزنه ذهبًا، ومثله ورقًا، ومثله ديباجًا،ومثله مسكًا وكافورًا (القشيري، 2007، 72؛ الثعالبي، 1471، 230/2)، أو فضة، فصار يوسف مستعبدًا (اليعقوبي، 897، 30/1) في عهد الملك الريان بن الوليد (الطبري، د. ت، 363\1)، وعلى الرغم من ذلك فإن من حسن طالع وحظ يوسف أنه لم يشتره رجل يهينه ويذله (العمرو، 2015، 37).

هذا، ومما يروى أن مالك بن دعر لما رأى من بعض المعجزات استحلف يوسف أن يخبره عن نفسه فأخبره، وأراد أن يلغي بيعه للعزيز فلم يستطع لتهديد العزيز له، وطلب من يوسف أن يدعو له بأن يرزقه ولدًا، ذلك أن له اثنتي عشرة جارية لم تلد قط واحدة منهن، فدعا له، فجاءه في ذلك العام اثنان مرة واحدة (الأوسي، 2003، ص83).

المطلب الثالث: يوسف الصديق في قصر عزيز مصر (عصمة يوسف من الفاحشة)

عهد العزيز لزوجته راعيل (زليخا) دون غيرها من خواصه رعاية يوسف والإحسان إليه، وإكرامه "أَكْرِمِي مَثْوَاهُ"]يوسف: 21[، وغرس قيم الخير والصلاح فيه، فسألته أن يوهبها إياه فوهبه لها) ابن الهيصم، 2006، 244)، وفي هذا أخطأ قوطيفار لجمال امرأته وجمال يوسف، رغم شيوع الاختلاط والسفور في القصر بذلك الوقت (العلمي، 1961، 474/1)، فربته ورعته وأحسنت إليه (ابن كثير، د. ت، 78)، وأكرمته أيما إكرام، وكانت تخدمه بنفسها وتمشط شعره بيدها (الأوسي، 2003، 99)، وتلبسه الديباج وقراطق الحرير (الأوسي، 2003، 84)، وعملت على تعليمه للعلوم النافعة {وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}]يوسف: 21[، سواء العلوم الكسبية التي وردت في الكتب السماوية، أو العلوم الكونية السياسية والمدنية والاجتماعية وغيرها (العلمي، 1961، 493/1 – 499) التي كانت سبباً في رفعته فيما بعد (السعدي، 2000، 24)، {وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ}]يوسف: 21[، وأول ما ظهر هذا التمكين أنه أصبح وكيلاً مفوضاً لقوطيفار كأنه ابنه بأملاكه كافة يتصرف بها كيف يشاء (لجنة العلماء، د. ت، 299/5؛ العلمي، 1961، 460/1، 479، 482). ولكنه لما بلغ رشده (قوته العقلية) وأشده وكمال قوته الجسدية أحبته (القشيري، 2007، ص73؛ ابن الأثير، 1979، 141/1)، وكانت ذات جمال ومال وجاه، وتزينت وتصنعت له وراودته عن نفسه بالرفق واللين، فعصمه الله وحماه ونزهه عن ارتكاب فاحشة الزنا (ابن الهيصم، 2006، ص244؛ ابن الأثير، 1979، 141/1) }قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ{]يوسف، 23[، وتفاصيل ذلك أنّ زليخا بالضرورة كانت أكبر عمراً وسناً من يوسف فهي التي عملت على تربيته ورعايته فإن كان افتراضًا منا وتقديراً لسن الغلام البالغ (17) سنة فيكون عمرها (33) سنة، وإن كان قد بلغ أشده (25) سنة فيعني أن عمرها أكثر من (40) سنة (قطب، 1971، 708/4).

هذا مع العلم أن هناك تفاوتاً في روايات المؤرخين بالعمر الزمني الذي راودت فيه امرأة العزيز يوسف عن نفسه (17، 18، 20، 25، 26، 27، 30 33، 40) سنه (ابن الأثير، 1979، 141/1؛ ابن أبي زمنين، 2002، 320/2)، وما نرجحه أنه كان في عنفوان شبابه، في مقتبل العشرينات من عمره، ذلك أنه لما تولته كان عمره (17) سنة، ورعته (3–7) سنوات (الجرجاني، 2009، 996 ؛ الأوسي، 2003، 99)، فيكون عمره ما بين 20–24 سنة، كما أشار فكري في تفسيره للإصحاح السابع والثلاثين من العهد القديم أن عمر يوسف عندما قابل ملك مصر كان ثلاثين عامًا (أبو حيان، 2010، 254/6)، ومدة سجن يوسف تراوحت ما بين ثلاث إلى تسع سنوات (ابن أبي زمنين، 2002، 327/2)، وتمثلت آلية إغرائه في أن زليخا أخبرت ظئرها أو حاضنتها أو مشاطتها بما وقع في قلبها من حب يوسف، وبما جهدت في التزين له ودعوتها له برفق ولين وستر ليواقعها ويضاجعها دون جدوى (الطبري، د. ت، 341/4؛ ابن تيمية، د. ت، 53/5). ولا أدلّ على ذلك من استعراض الأوسي في كتابه "زهر الكمام" للحوار الذي جرى بين زليخا وحاضنتها حيث قالت حاضنتها لها: "يا سيدتي، أرى غصنك ذابلاً، وجسدك ناحلاً، وقلبك مائلاً، فقالت لها: وكيف لا أكون كذلك وأنا أخدم هذا الغلام العبراني منذ سبع سنين ألاطفه بلساني، وأتحبب إليه بإحساني، فكلما زدت ميلاً إليه، زاد إعراضاً عني، وكلما قربت منه، تباعد مني " (الأوسي، 2003، 100).

اتفقت الحاضنة مع سيدتها على أن تأتي بيوسف إلى مكان خاص بها بنته لنفسها سمته لقيطور (الأوسي، 101،2003) }وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ{]يوسف: 23[، خوفاً من أن ينكشف أمرها بدخول زوجها أو أحد خدمها، وحتى تمنع يوسف من محاولة الهرب، فلما جاء يوسف أظهرت زليخا له شوقها وحبها له، وتغزّلت فيه وهو يرد عليها على خجل منه واستحياء للتخلص منها وإبعادها عنه، قائلاً لها عندما وصفت له جمال شعره وعينيه ورائحته، بأن شعره سيكون أول ما يسقط في القبر، وعينيه أول ما تسقطان عن خده، ورائحته الطيبة ستختفي بعد ثلاثة أيام من موته وتصبح نتنه، حتى أن النظر إليها سيلحق به العمى يوم القيامة، وأن الفرش الذي دعته لينام معها عليه من الديباج والحرير سيكون من فرش النار تحته، فما زالت تتقرب إليه وتغريه بجمالها ومالها وجاهها وهو يبتعد عنها (ابن ابي زمنين، 2002، 321/2) حتى هددته بأنها ستلحق به العذاب الأليم– (العلمي، 1961، 534/1)، وستضع له السم في الطعام وتقتله (ابن الهيصم، 2006، 245)، ووصل الحال في نهاية المقام – بعد الإغراء والتهديد – إلى أنه استعصم واستعصى (امتنع بشده) ثم اعتصم بالله (قطب، 1971، 712/4). }إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ{]يوسف: 23[؛ فعصمه الله وحماه وصرف عنه السوء والشر والفحشاء (الطبري، د. ت، 338/1 (. وساعده إيمانه الصادق، وتقواه وصبره، وإخلاصه الكامل، ووفاءه لمن رعاه وأكرمه وأحسن إليه، وامتثاله للأوامر، واجتنابه للزواجر على رؤية برهان ربه بصور وأشكال تفاوتت الآراء بذكرها؛ فقيل إنه رأى جبريل عليه السلام يقول له "الاسم في ديوان الصديقين والفعل فعل الفاسقين" (الأوسي، 2003، 103)، "يا يوسف تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء" (الثعالبي، د. ت، 232/2). وقيل إنه نودي به: " أتزني فتكون كالطير وقع ريشه، فذهب ليطير ولا ريش له " (الطبري، د. ت، 338/1). وقيل إنه رأى والده يتوعده ويعضّ على يديه زاجرًا له عن هذه الفعلة كما كان يفعل له ذلك وهو صغير ليصرفه عن الوقوع في

الخطأ (الجرجاني، 2009، 997/3؛ ابن تيمية، د. ت، 5 /54؛) ومما قيل إنه ظهر أمامه آيات من القرآن الكريم (الطبري، د. ت، 344/4–338/1). }وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا{]الإسراء: 32[. ومهما يكن من أمر فإن يوسف التجأ إلى الله عند خوفه الوقوع في المعصية والذنب فحماه الله ونجاه }وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ{]يوسف: 22[.

لقد استعظم يوسف الصبر الاختياري على الابتلاء رغم المحنة الكبيرة التي تعرض لها بتلك البيئة المترفة المغرية التي لا ضوابط فيها للاختلاط والخلوة والسفور، وهمّ بالهرب من أحد الأبواب الداخلية أو الخارجية، التي قيل أن عددها سبعة (الثعالبي، د. ت، 234/2) إلا أن زليخا لحقته لترده إلى نفسها ثم اتهمته ظلمًا وزورًا بمحاولة الاعتداء عليها واغتصابها {مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا{]يوسف: 25[، لتبرئة نفسها عندما رأت زوجها الذي لم يكن بعيداً عن الباب ومعه مستشاره الحكيم ابن عمها الذي أشار على العزيز عندما شاهد قميص يوسف بيد زليخا (ابن الهيصم، 2006، 248، العلمي، 1961، 546/1، 578–580)، –الذي نزعته وهو يريد التخلص منها عندما لحقته –، إن كان قميصه قد مزق من الخلف فهو بريء (الطبري، د. ت، 338/1؛ السيوطي، 2011، 503)، وهذا ما ورد نصًا حرفياً مباشراً بقوله تعالى }إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ{]يوسف: 26–27[. وقيل بأن الله –سبحانه وتعالى– استنطق طفلاً صغيراً في المهد كانت تتبناه زليخا (ابن خالها) ليظهر الحق ببراءة يوسف أمام العزيز) الطبري، د. ت، 339/1، الجرجاني، 2009، 998/3؛ القشيري، 2007، 75)

لم يكن الموقف سهلاً على أحد سواء كان يوسف أو العزيز وزوجته زليخا أو حتى مستشاره الحكيم، إلا أنَّ العزيز أدرك بفطنته وذكائه وحكمته واتزانه وبمعرفته بزوجته وبيوسف، وبتمحصه وتحققه للموضوع حقيقة الأمر }فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ{]يوسف: 28[، وطلب من يوسف كتمان ما حصل وعدم ذكره، وطلب من زوجته التوبة والاستغفار على الخطأ والإساءة والذنب الذي ارتكبته (ابن كثير، د. ت، 281؛ ابن أبي زمنين، 2002، 2/ 322؛ الآيجي، 2004، 220/2)، } يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ{]يوسف: 29[.، ومما يذكر أن العزيز كان كبير السن ولا يقرب النساء، لذا فإن الغيرة عنده ضعيفة (ابن إياس، 2003، 110).

اكتفى العزيز بما فعل محاولة منه إنهاء الموقف وستره، والتحفظ في عدم تصعيده وإشاعته ذلك أنه مشارك فيه دون قصد منه، فهو الذي أدخل يوسف على قصره وعهد لزوجته برعايته، وسمح لهما بالمخالطة، وهيأ للخلوة بينهما وهما على قدر كبير من الجمال، هذا على الرغم من أن يوسف حفظ نفسه ولم يسئ لزليخا، وأحسن للعزيز بحفظ عرضه.

تسرب خبر امرأة العزيز مع يوسف على نطاق ضيق من خلال الخدم والجواري، وعلمت نساء المدينة ذوات الطبقة الراقية من الأميرات وزوجات العاملين في القصر كصاحب الشراب، وصاحب المطبخ، وسائس الدواب، والحاجب، وصاحب السجن وغيرهن من بنات الكرام بهذه الفعلة (الجرجاني، 2009، 998/3؛ أبو حيان، 2010، 262/6 (. فأنكرن على زليخا ما قامت به }إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ{]يوسف: 30[، فدعتهن زليخا وأعدت لهن مجلساً وقدمت لهن الطعام والشراب من اللحوم الأرضية والسماوية والبحرية والفواكه، إضافة إلى الأترج والموز والبطيخ والعسل، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً حاداً، وأخرجت يوسف عليهن –من عادات الشرق في ذلك الزمان– بأبهى وأجمل لباس وهيئة " فرصعت ذوائبه بالدر والياقوت، وكللت جبينه بالجوهر، وألبسته قباء أخضر ومنطقته بمنطقة من ذهب أحمر، ووضعت على عاتقه منديلاً من السندس، وكأساً من ذهب في يده، (الأوسي، 2003، 121، العلمي، 1961، 621/1–631) وقالت: }اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ{]يوسف: 31[، فلما رأينه فوجئن وانبهرن به، وأظهرن احترامهن له، وظهر الا حترام في أركان ثلاثة هي الركن القلبي (الجنان)، ف "أَكْبَرْنَهُ"]يوسف: 31[، والركن العملي فقطعن أصابعهن }وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ{]يوسف: 31[دون أن يشعرن بذلك مما رأينه من حسن وجمال يوسف عليه السلام) ابن أبي زمنين، 2002 323/2، الناصري، 1985، 175؛ الخالدي، 1998، 133)، والركن اللساني الثالث بقولهن }حَاشَ لِلَّهِ{]يوسف: 31[، تنزيها له (الطبري، د. ت، 350/4). وفي هذا جاء قوله –جل وعلا–: }وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ{]يوسف: 30–31 [.

اتصف النبي يوسف عليه السلام بالجمال وحسن الوجه والصورة والمنظر، فقد أعطي شطر الحسن، وورث جماله عن النبي آدم عليه السلام وزوجته حواء وأمه راحيل، وجدته ساره زوجة النبي إبراهيم عليه السلام. (المومني، 2017، 142–143)، ومما ورد في وصف جماله " وكان وجه يوسف –صلوات الله عليه– مثل البدر، وكان له ذؤبتان سوشان على ظهره، وكانت

عينيه نجم يتوقد نورًا، وكان مقرون الحاجبين، واسع العينين، أقنى الأنف، مفلج الأسنان، معتدل القامة، حسن الكفين والساعدين والعضدين والساقين... "، (ابن الهيصم، 2006، 228).

اجتمعت نساء المدينة وتآمرن مع امرأة العزيز ضد يوسف بعد أن رأينه، وبعد أن اعترفت لهن بما قامت به، مظهرة لهن قوتها وإرادتها وتصميمها على الظفر به، فقدمن لها يد المساعدة ليمكرن به طالبين من يوسف تلبية طلبها، وطلبهن في أن يصبو إليهن فأبى ورفض (الطبري، د. ت، 351/4؛ الطبري، د. ت، 1/ 341؛ العمرو، 2015، 47)، ودعا ربه بأنْ يعصمه وينجيه من الحال الذي هو فيه }قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{ [يوسف: 33–34] (أبو حيان، 2010، 274/6–275؛ العلمي، 1961، 659/1–675؛ الشعراوي، 1991، 6942–6944)، وبذلك اختار يوسف أقل الضررين فبعض الشر أهون من بعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الثالث: يوسف الصديق من غيابة السجن إلى صدارة مصر

المطلب الأول: يوسف الصديق في غيابة السجن

صدر حكم السجن على يوسف – بمنطقة السقارة في مصر– وقيل على النيل، أو في منطقة بوصير من أعمال الجيزة أول الصعيد (أبو حيان، 2010، 284/6؛ العلمي، 1961، 676/1–677، 685). ظلماً وبهتاناً لا لذنب ارتكبه، وإنما خشية من أن يشيع الخبر بالعامة، وللحد والتقليل من كلام الناس في الموضوع وإخماده (ابن الهيصم، 2006، 251؛ ابن الأثير، 1979، 144/1؛)، ولحفظ سمعة البيوتات الراقية وصيانة نسائهن (قطب، 1971، 720/4)، ولا أدل على ذلك من مخاطبة زليخا لزوجها عزيز مصر: " إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه" (الطبري، د. ت، 342/1 ؛ القرطبي، 1272، 188/9)، ثم طلبت منه أن يسجنه، فأجابها بأن هذا الأمر من صلاحيات الملك الريان بن الوليد، فدخلت على الملك وطلبت منه سجن يوسف فلبى طلبها (القرطبي، 1272، 188/9؛ الثعالبي، د. ت، 236/2). }ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ{ [يوسف: 35].

دخل يوسف السجن فرحاً وحزيناً في ذات الوقت، فرحاً لأن الله عصمه ونجاه من الوقوع في الفاحشة، وحزيناً لما لحق به من ظلم وافتراء، وشعرت زليخا بالذنب، وندمت على ما قامت به، وحاولت من خلال وساطة زوجها إخراج يوسف من السجن فرفض، فما كان منها إلا أن عملت على تزويده باحتياجاته (الأوسي، 2003، 137) التي تعرفها جيدًا تخفيفاً عنه مما لحق به بسببها.

مكث يوسف بالسجن بضع سنين تراوحت ما بين ثلاث إلى تسع سنوات (الإيجي، 1272، 227/2). وقيل اثنتي عشرة سنة (الأوسي، 2003، 153) وفي أرجح الأقوال سبع سنوات (الطبري، د. ت، 359/4، الطبري، د. ت، 342/1، 344)، أحب فيها أهل السجن يوسف، لأنه كان "يطيب المسجونين، ويؤنس المحزونين، ويداوي المرضى، ويرجي القانطين". (العلمي، 1961، 702/2). ولأنهم استأنسوا به لجماله وطهارته وعلمه وخلقه الحسن وصبره الاضطراري على البلاء، حتى أن صاحب السجن قال له يومًا: أنا أحبك يا يوسف، فقال له يوسف: أعوذ بالله من حبك، فإن عمتي أحبتني فنسبت إلي السرقة، وأحبني والدي ففعل بي إخوتي ما فعلوه، وقد أحبني سيدي فجلست في السجن، فإياك أن تحبني فينزل بي بلية أخرى (ابن الهيصم، 2006، 251؛ الأوسي، 2003، 138).

وكان ممن أحب يوسف وأعجب به فتيان اثنان ساقهما قدرهما إلى السجن بعد أن كانا من ذوي الشأن بالقصر عند الملك أحدهما صاحب طعامه (خبازه) (الثعالبي، د. ت، 236/2؛ العلمي، 1961، 690/2) . واسمه مجلث (مخلث، مخلف، محلب) (الثعالبي، د. ت، 236/2؛ العلمي، 1985، 690/2) والثاني صاحب شرابه (الساقي) (الثعالبي، 1471، 236/2). واسمه نبوا (نبو، نبو قحف) (ابن كثير، 1985، 193/1)، ذلك أنه سولت لهما نفسيهما التآمر مع أحد أعداء الملك من اليمن أو بعض أشراف مصر على دس السم للملك في الطعام، فأعلم الساقي الملك بذلك، فأمر بسجنهما (الجرجاني، 2009، 1000/3؛ العلمي، 1961، 692/2؛ الشعراوي، 1991، 6948).

رأى كل من صاحبي الطعام والشراب حلمًا في السجن في يوم واحد، فطلبا من يوسف أن يفسر لهما حلميهما. فقال الساقي إنه رأى ثلاثة قضبان من الكرم أورقت وأينعت عناقيد عنب، فأخذها وعصرها في كأس الملك وسقاه، وقال الخباز إنه رأى ثلاث سلال من خبز، فحملها على رأسه فأكلت الطيور من السلة الأعلى منها (أبو حيان، 2010، 275/1؛ العلمي، 1961، 695/1–

703)، }قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ"[{ يوسف: 36[ففسر لهما يوسف ما رأياه في أن الساقي ستتم تبرئته ويعود ساقيًا للملك، أما الخباز فسيتم إعدامه) الجرجاني، 2009، 1000/3)، وطلب من الذي ظنّ أنّه ناجٍ منهما وهو الساقي أن يذكره عند الملك (الشعراوي، 1991، 6965-6966)، }وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ{]يوسف: 42[بأني مسجون ظلماً من غير جرم ارتكبته (ابن الأثير، 1979، 145/1؛ الأوسي، 2003، 142؛ الثعالبي، د. ت، 239/2) . لكن الشيطان أنساه ذلك }فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ{]يوسف: 42[.

عاتب الله -جل جلاله- يوسف عليه السلام على لسان الوحي جبريل -عليه السلام- قائلًا له: "يا يوسف اتخذت من دوني وكيلًا!!!! لأطيلن حبسك" (الطبري، د. ت، 344/1؛ القشيري، 2007، 78-79) وبشيء من التفصيل قول جبريل ليوسف "من خلصك من القتل على يد إخوتك، وأخرجك من الجب، وعصمك من الفاحشة وكيد النساء، فقال: الله -عز وجل-، فقال جبريل: فلم سألت الحاجة من المخلوق؟ فتاب واستغفر" (ابن الهيصم، 2006، 256؛ الأوسي، 2003، 142).

وخلاصة الأمر أن يوسف أخذ في الأسباب بعد التوكل على الله فيما قام به من فعل حتى اقتضت حكمة الله وقدرته فك أسره وخروجه من السجن، وتمثلت آلية ذلك في تفسير رؤيا الملك الريان بن الوليد، أو حلمه.

المطلب الثاني: تعبير يوسف لرؤيا الملك

رأى ملك مصر الريَّان بن الوليد بن بروان بن أراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح (أبو حيان، 2010 254/6). في منامه ما وصفه ملك الملوك بما قلّ ودلّ من الكلمات في قوله عز من قائل: }وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ{]يوسف: 43[(انظر تفسير الآية: الجرجاني، 2009، 1002/3-1003؛ أبو حيان، 2010، 280/6-281)، وقد تمثلت هذه الرؤيا بخروج سبع بقرات سمان حسان من النهر ثم تبعها سبع بقرات عجاف هزيلات قبيحات المنظر، فأكلن العجاف السمان، ثم رأى سبع سنبلات خضر جميلات يخرجن من ساق واحدة حسنة المظهر يليها سبع سنبلات يابسات، فأكلن اليابسات السنابل الخضراء (الطبري: د. ت 1/ 345، السيوطي، 2011، 504).

جمع الملك رجال القصر من الحكماء، والسحرة والكهنة والعرافين، وقص عليهم رؤياه طالبًا منهم تفسير ما رأى، فأجابوه بأنها أضغاث أحلام وما هم بتفسير الأحلام بعالمين (ابن الأثير، 1979، 145/1؛ أبو حيان، 2010، 281/6)، }يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ{]يوسف: 43، 44[، فتذكر ساقي الملك "تبوا" السجينَ يوسف، وذكره عند الملك.

أرسل الملك ليوسف رئيس السقاة عنده مع بعض الحاشية ليأتوه بتفسير رؤياه، فقال يوسف بأنه سيأتي سبع سنين من الرخاء و الخير والخصب، ثم سيأتي بعدها سبع سنين من الجدب والتقشف والكفاف والقحط وانقطاع المطر، وبعدها يأتي عام فيه غيث وخصب ورفاهية، ونصحهم دالًا لهم على الخير بانتهاز الفرصة والعمل بمواظبة ونشاط وجد واجتهاد والإكثار من الزروع في سنوات الخصب وإدخار حبوبها في أهراء تصنع في الأرض (السبع سنين الأولى) خشية من أن تتلف وتتسوس، وتقليل البذر من الحبوب في سني الجدب والتقشف والكفاف والعمل على التحصين والاقتصاد (السبع سنين الثانية) (ابن كثير، د. ت، 289؛ السيوطي، 2011، 504؛ قطب، 1971، 729/4-731؛ ابن أبي زمنين، 2002، 328/2)، ومما يروى أن يوسف لم يفسر الحلم بالسجن وإنما فسره عندما قابل الملك، }قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ* ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ{]يوسف: 47, 48 ,49[، (العلمي، 1961، 884/2-892؛ الشعراوي، 1991، 6976-6984) و يظهر من تفسير يوسف هذا منهجه في التخطيط الاقتصادي الجزئي والكلي والمستقبلي (الحليسي، 1994، 73-74) وتحقيق مصلحة ودرء مفسدة من خلال مراعاة حفظه للنفوس والعقول والأموال.

لمست السعادة قلب الملك بما سمع من تفسير يوسف لحلمه والنصائح والتوجيهات التي قدمها له، والخطة المقترحة لمواجهة التحديات الاقتصادية القادمة، وسأل عنه وعن سبب دخوله السجن، فأعلموه بحسن خلقه، وعلمه، وفضله، فأدرك أنه مظلوم، وأمر بالعفو عنه وطلب من حاشيته الإفراج عنه والإتيان به، وتكريمه (العلمي، 1961، 897/2-909) }وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ{]يوسف: 54] إلاّ أنَّ يوسف رفض الخروج من السجن إلا بعد تبرئته (الطبري، د. ت، 346/1 ؛ الجرجاني، 2009، 1004/3؛ أبو حيان، 2010، 287/6؛ الخالدي، 1998، 165/2)، لرفع التهم عن نفسه قبل بدنه، وليؤكد على براءته

وعفته وكرامته أمام الملأ بسبب ما لحق سمعته من تشويه، وليثبت عدم خيانته للعزيز الذي أكرمه ورعاه (العلمي، 1961، 897/2–899؛ الشعراوي، 1991، 6986)، فلا يبقى في نفس أحد ريبة وشك فيه، فاستجاب الملك لطلبه، وأعاد فتح ملف التحقيق في قضيته، وجمع من كُنَّ سبباً في دخوله السجن ومحَّص مكائدهن عليه حتى اعترفن ببراءته ونزاهته وطهره "مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ"]يوسف: 51[، وعلى رأسهن امرأة العزيز نفسها (القشيري، 2007، 80؛ الجرجاني، 2009، 1005/3). التي اعترفت بفعلتها وبررت ذنبها وخطأها خشيتها وخوفها من إظهار خيانتها لزوجها (ابن كثير، 1985، 196/1) فتابت وتاب الله عليها.

وبذلك يتضح لنا جلياً أن يوسف بموقفه هذا كان صائباً في أن قدم إظهار براءته على خروجه من السجن، وإنه لم يصدر منه أي إساءة تجاه العزيز وزوجته، ذلك أنه رعاه وأكرمه وأوكله أعماله ومصالحه، فبادله ثقة بثقة واحتراماً باحترام.

المطلب الثالث: رفعة يوسف الصديق وصدارة مصر

خرج يوسف من السجن داعياً لمن بقي فيه من المسجونين "اللهم إعطف عليهم قلوب الأخيار"، وكاتبًا على بابه "هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء" (ابن الأثير، 1979، 146/1) ومما قيل "هذه منازل البلوة، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء " (أبو حيان، 2010، 290/6).

وصل يوسف عند الملك الريان في موكب عظيم مهيب وهو بأبهى صورة، فاستقبله وأكرمه، وأجلسه على سرير الملك معه (العلمي 1961، 942/2–943؛ الشعراوي، 1991، 6999) }إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ{]يوسف: 54[.

ثم تحدث معه بسبعة ألسنة وقيل بسبعين لساناً أو لغة، وزاد عليها يوسف العربية والعبرانية) الجرجاني، 2009، 1005/3؛ أبو حيان، 2010، 290/6–291).

أعجب الملك بيوسف وأخلاقه وذكائه وعلمه وفصاحته وكفاءته وعلو همته وحكمته وحنكته وخبرته وصبره وتأنيه وحسن تدبيره، فقربه إليه وعينه مسؤولًا عن الأهراء (مخازن الطعام) بناء على رغبته (ابن الهيصم، 2006، 262 ؛ الثعالبي، د. ت، 243/2)، }قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ{]يوسف: 55[مما يعطي مؤشراً على ثقته بنفسه، وبضرورة عدم منح المنصب لمن لا يستحقه، وبخاصة أنَّ طلب يوسف هذا لم يكن لمصلحته الشخصية بالدرجة الأولى وإنما لمصلحة الناس العامة، وهذا ما سيكون إن شاءالله معرض حديثنا في البحث اللاحق المستمر لسيرة النبي يوسف الصديق–عليه السلام.

هذا، وتتجلى حكمة الله –تعالى– في تدبير المجاعة ليعود إخوة يوسف ويقابلوه، ويدركوا عظمة الخالق وقدرته، ثم نعمته على أخيهم يوسف بمنحه صفتي العدل والإحسان، وقدرته –جل في علاه– على تحويل حكم مصر من الفراعنة إلى بني إسرائيل في أنه هيأ لذلك أسبابًا أبدع الأوسي في وصفها قائلًا: " فجعل محبة يعقوب لأحد بنيه سببًا لحقد الإخوة، ثم جعل رؤياه سببًا لحسدهم إياه، ثم جعل حسدهم سببًا لرميه في الجب، ثم جعل رميه في الجب سببًا لإخراجه على يد السيارة، ثم جعل إخراجه على يد السيارة سببًا لبيعه، ثم جعل بيعه سببًا لوصوله مصر، ثم جعل وصوله مصر سببًا لشراء العزيز له، ثم جعل شراء العزيز له سببًا للمراودة، ثم جعل المراودة سببًا لقول النسوة، ثم جعل قول النسوة سببًا لدخوله السجن، ثم جعل دخوله في السجن سببًا لتعبير رؤيا الساقي والخباز، ثم جعل تعبير رؤية الساقي والخباز سببًا لتعبير رؤية الملك... فبرؤيا هلك وبرؤيا ملك... " (الأوسي، 2003، 152). "ورؤيا كانت سبب ترحه، ورؤيا كانت سبب فرحه، ورؤيا كانت سبب محنته، ورؤيا كانت سبب محبته" (الأوسي، 2003، 152).

الخاتمة

الحمد لله الذي ختم لنا بخير إخراج هذه الدراسة بالصورة التي جاءت عليها بعد سعة إطلاع، وصبر في جمع الروايات، وتدقيقها، وتحليلها، والتوفيق بين ما ورد منها منسجمًا مع كتاب الله –سبحانه وتعالى– بغية الوصول إلى الحقيقة بصورة متسلسلة واضحة للباحث والقارئ، ومن أبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة:

1. الصبر على الابتلاءات، والثقة، وحسن الظن بالله من الدروس والعبر التي استفدنا منها في استعراض مسار حياة يوسف الصديق، من غيابه في الجب إلى غيابه في السجن.
2. تقلب الأحوال والتحولات التاريخية في مسار حياة يوسف الصديق وما أصابه من خير ومن ظلم وعزلة وغربة شكل لديه دافعًا قويًا لمواجهة التحديات والمعوقات والمضي قدمًا نحو الأفضل.

3. قصة يوسف الصديق قصة نجاح في تحويل الظروف السلبية الصعبة إلى بيئة إيجابية خصبة تؤتي ثمارها مما يبرهن قدرته على تحويل الصعاب إلى فرص وتحقيق أهداف.
4. عناصر شخصية يوسف المتمثلة في الحكمة، وقوة الإرادة، والعزيمة، و المبادرة، والتفاؤل كانت سببًا في تأثيره الإيجابي على نفسه من جهة وعلى المجتمع والدولة من جهة ثانية. وسماته المتمثلة في الرحمة، والتسامح، والعدل جعلته الأفضل بين إخوته وغيرهم، ومهدت طريق التفوق والنجاح له.

ومن أبرز التوصيات للدراسة:

1. الصبر على الابتلاءات والثبات وحسن الظن والثقة في الله أحوج ما نكون إليه اليوم في ظل ما يجري من أحداث معاصرة بالعالم الإسلامي بعامة وقطاع غزة بخاصة.
2. الأخذ في الأسباب والعمل على مواجهة التحديات المعاصرة بأنواعها كافة مقصد شرعي وواجب وطني وضرورة مجتمعية.
3. التكيف والتأقلم والتعايش في ظل تقلب الأحوال بين الخير والشر والابتلاء والفرج أمر لا بد منه بالضرورة لاستمرار الحياة وعمارة الكون.
4. التفاؤل والبعد عن الإحباط واليأس والقنوط وقوة الإرادة والعزيمة والمبادرة الإيجابية يتصدر قمة أولوياتنا في الظروف الصعبة التي نعيشها هذه الأيام.
5. تعتبر الخيانة والخذلان والمؤامرات، وغياب الرحمة والعدل والتسامح سببًا في الكراهية والبغضاء والفرقة والتجزئة والانحطاط والضعف.
6. الله –سبحانه وتعالى– هو من يهيء الظروف ويقدرها؛ وما علينا إلا اغتنامها للوصول إلى التفوق والنجاح في كافة الأمكنة والأزمنة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية

- القرآن الكريم.
- ابن أبي زمنين، م. (2002). تفسير القرآن العزيز. (ط1). (م5). تحقيق: عبدالله بن حسين عكاشة، محمد مصطفى الكنز. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الأثير، ع. (1979). الكامل في التاريخ. 13ج. بيروت: دار صادر.
- ابن الهيصم، أ. (2006). قصص القرآن الكريم. (ط1). تحقيق: أ. د. محمد عبده حتاملة، أ. د. محمد جاسم المشهداني. عمان: المكتبة الوطنية.
- ابن إياس، م. (2003). بدائع الزهور في وقائع الدهور. (ط1). القاهرة: دار المنار.
- ابن تيمية، ت. (د. ت). التفسير الكبير. (ج5). تحقيق: عبدالرحمن عميرة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حبيب، أ. (د. ت). المحبر. رواية: إبن سعيد الحسن بن أبي الحسن السكري. تصحيح: د. أيلزة ليختين شتيتر. بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- ابن كثير، أ. (1985). البداية والنهاية.) ط1 (. ج1. تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، أ. (د. ت). قصص الأنبياء. (ط1). بيروت: دار الفكر.
- ابن منظور، م. (د. ت). لسان العرب. (ج15). بيروت: دار الفكر.
- أبو حيان، م. (2010). البحر المحيط في التفسير. (ج6). عناية الشيخ: زهير جعيد، بيروت: دار الفكر.
- أنيس، إ، منتصر، ع، الصوالحي، ع، وأحمد، م. (1972). المعجم الوسيط. (ج2). (ط2). د. عبدالحليم منتصر، د. عطية الصوالحي، د. محمد خلف الله أحمد. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الأوسي، س. (2003). زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام. (ط1). تحقيق كمال الدين علام. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الآيجي، م. (2004). جامع البيان في تفسير القرآن. (ط1). (ج4). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن. (د. ت). تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن. (ج2). بيروت: منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات والنشر.
- الجرجاني، ع. (2009). درج الدرر في تفسير الآي والسور. (ط1). تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، أديب شكور أمرير. عمان: دار الفكر.
- الحليسي، ن. (1994). المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام. (ط4).

- الخالدي، ص. (1998). القصص القرآني "عرض وقائع وتحليل أحداث". (ط1). (ج2). دمشق: دار القلم.
- السعدي، ع. (2000). فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام. (ط1). تعليق: أبو أحمد أشرف بن عبد المقصود. الرياض: مكتبة أضواء السلف.
- سوسة، أحمد. (1981). مفصل العرب واليهود في التاريخ. (ط5). العراق: وزارة الثقافة والإعلام.
- السيوطي، ع. (2011). تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور. (ج4). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشعراوي، م. (1991). تفسير الشعراوي –خواطري حول القرآن الكريم. (ج24). القاهرة: مطابع أخبار اليوم.
- الطبري، م. (د. ت). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد بن أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار سويدان.
- الطبري، م. (د. ت). تفسير الطبري من كتابة جامع البيان من تأويل آي القرآن. (م4). تحقيق: د. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني بيروت: مؤسسة الرسالة.
- العلمي، ع. (1961). مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام. ج2. تقديم: محمد بهجة البيطار الدمشقي. دمشق: دار الفكر.
- العمرو، ن. (2015). تدبر سورة يوسف– تهذيب آيات السائلين. (ط1). الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع.
- فكري، ا. (د. ت). شرح الكتاب المقدس "العهد القديم". تفسير سفر التكوين الإصحاح السابع والثلاثون.
- القرطبي، م. (1372ه). الجامع لأحكام القرآن. (ط2). تحقيق: أحمد البردوني. القاهرة: دار الشعب.
- القشيري، أ. (2007). تفسير القشيري المسمى "لطائف الاشارات". (ط2). (ج3). تعليق: عبداللطيف حسن عبدالرحمن. بيروت: دار الكتب العلمية.
- قطب، س. (1971). في ظلال القرآن. (ط2). (ج12). بيروت: دار الشروق.
- لجنة من العلماء. (د. ت). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. (ج5). بإشراف: مجمع البحوث الاسلامية/الأزهر.
- الماوردي، أ. (د. ت). النكت والعيون (تفسير الماوردي). تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المسعودي، ع. (1973). مروج الذهب ومعادن الجوهر. (ط5). (ج4). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر.
- المسعودي، ع. (1981). التنبيه والإشراف. بيروت: دار الهلال.
- المومني، م والعبادلة، ح. (2017). كمال التحقيق في ترجمة نبي الله يوسف الصديق. مجلة الإيضاح، 34، 138–145.
- الناصري، م. (1985). التيسير في أحاديث التفسير. (ط1). (ج3). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- ويكيبيديا: https: //ar. wikipedia. org/wiki/%D8%A3%D8%AA%D8%B1%D8%AC
- اليعقوبي، أ. (د. ت). تاريخ اليعقوبي. (ج2). بيروت: دار صادر.

المراجع المرومنة:

- The Holy Quran
- Abu Hayyan, M. (2010). Al-Bahr Al-Muhit Fi Al-Tafsir. (V6). Edited by: Sheikh Zuhair Ja'id. Beirut (in Arabic): Dar Al-Fikr.
- Al-Aji, M. (2004). Jami' Al-Bayan Fi Tafsir Al-Quran. (1st 1), (Vol. 4). Beirut (in Arabic): Dar Al-Kutub Al-Almiyah.
- Al-Alami, A. (1961). Mu'tamar Tafsir Surat Yusuf Alayh Al-Salam. (V2). Introduction by: Muhammad Bahja Al-Baytar Al-Dimashqi. Damascus (in Arabic): Dar Al-Fikr.
- Al-Amro, N. (2015). Tadabbur Surat Yusuf - Tahthib Ayat Al-Sailin. (1st ed). Riyadh (in Arabic): Dar Al-Hadara for Printing and Press.
- Al-aousi, S. (2003). Zahur al-Kimam fi Qissa Yusuf alayh al-Salam: Edited by Kamal al-Din Alam. (1st ed). Beirut (in Arabic): Dar al-Kutub al-Ilmiyah.
- Al-Halisi, N. (1994). Al-Manhaj Al-Iqtisadi Fi Al-Takhtit Li-Nabi Allah Yusuf Alayh Al-Salam. (4th ed). (in Arabic).
- Al-Jurjani, A. (2009). Darj al-Durar fi Tafsir al-Ayat wa al-Suwar. (1st ed). Edited by: Walid bin Ahmed Saleh Al-Hussein, Iyad Abdul Latif Al-Qaisi. Amman (in Arabic): Dar al Fikir.
- Al-Khaldi, S. (1998). Al-Qasas Al-Qur'ani "Arad Waqai' Wa Tahleel Ahadith". (1st ed). (Vol. 2). Damascus (in Arabic): Dar Al-Qalam.

- Al-Mas'udi, A. (1973). Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar. (5th ed), (Vol 4). Edited by: Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid. Beirut (in Arabic): Dar al-Fikr.
- Al-Mas'udi, A. (1981). Al-Tanbih wal-Ishraf. Beirut (in Arabic): Dar al-Hilal.
- Al-Mawardi, A. (n. d.). Al-Nukat wal-'Uyun (Al-Mawardi's Commentary). Edited by: Sayyid ibn 'Abd al-Muqsud ibn 'Abd al-Rahim. Beirut (in Arabic): Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Mumani, M. & Al-'Abadlah, H. (2017). Kamal al-Tahqiq fi Tarjamat Nabi Allah Yusuf al-Sadiq. Al-Izah Magazine (in Arabic), Vol 34, pp. 138-145.
- Al-Nasiri, M. (1985). Al-Taysir fi Ahadith al-Tafsir. (1st ed). (Vol. 3). Beirut (in Arabic): Dar al-Gharb al-Islami.
- Al-Qurtubi, M. (1372 AH). Al-Jami' Li-Ahkam Al-Quran. (2nd ed). Edited by: Ahmed Al-Bardoni. Cairo (in Arabic): Dar Al-Sha'b.
- Al-Qushayri, A. (2007). Tafsir Al-Qushayri Al-Musamma "Lata'if Al-Isharat". (2nd ed). (Vol. 3). Comment by: Abdul Latif Hasan Abdul Rahman. Beirut (in Arabic): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah.
- Al-Saadi, A. (2000). Fawa'id Mustanbatah Min Qissa Yusuf Alayh Al-Salam. (1st ed). Comment by: Abu Ahmad Ashraf ibn Abdul Maqsud. Riyadh (in Arabic): Maktabat Adwa Al-Salaf.
- Al-Shaarawi, M. (1991). Tafsir Al-Shaarawi - Khawateri Hawl Al-Quran Al-Karim. (Vol. 24). Cairo (in Arabic): today news press.
- Al-Suyuti, A. (2011). Tafsir Al-Dur Al-Manthur Fi Tafsir Al-Mathur. (Vol. 4). Beirut (in Arabic). Dar Al-Fikr for distribution and press.
- Al-Tabari, M. (n. d.). Tafsir Al-Tabari Min Kitab Jami' Al-Bayan Min Tawil Ay Al-Quran. (Vol. 4). Edited by: Dr. Bashar Awad Marouf, Issam Fares Al-Harastani. Beirut (in Arabic): Mu'assasat Al-Risalah.
- Al-Tabari, M. (n. d.). Tarikh Al-Rusul Wal-Muluk. Edited by: Muhammad bin Abu Al-Fadl Ibrahim. Beirut (in Arabic): Dar Swaydan.
- Al-Tha'labi, A. (n. d.). Tafsir al-Tha'labi al-Musam bi Jawahir al-Hasan fi Tafsir al-Quran. (Vol. 2). Beirut (in Arabic): Publications of Al-A'la for Printing and Publishing.
- Al-Ya'qubi, A. (n. d.). Tarikh al-Ya'qubi. (Vol. 2). Beirut (in Arabic): Dar Sader.
- Anis, E., Montaser, A., Al-Sawalhi, A., & Ahmed, M. (1972). Almujam alwaseet. (Vol2). (2nd ed.). Dr. Abdel Halim Montaser, Dr. Attia Al-Sawalhi, Dr. Muhammad Khalaf Allah Ahmed. Beirut (in Arabic): Ihia al turath alarabi.
- Committee of Scholars. (n. d.). Al-Tafsir Al-Wasit Lil-Quran Al-Karim. (Vol. 5). Supervised by: Majma' Al-Buhuth Al-Islamiyah/Al-Azhar. (in Arabic).
- Fukri, A. (n. d.). Sharh Al-Kitab Al-Muqaddas "Al-Ahd Al-Qadeem". Tafsir Safir Al-Takwin Al-Ishah Al-Sabae' Wa Al-Thalathun. (in Arabic).
- Ibn Abi Zamanin, M. (2002). Tafsir al-Quran al-Aziz. (1st ed). (Vol. 5). Edited by: Abdullah ibn Husayn Akasha, Muhammad Mustafa al-Kanz. Beirut (in Arabic): Dar al Kutub al-Ilmiyah.
- Ibn al-Haytham, A. (2006). Qisas al-Qur'an al-Karim. (1st ed). Edited by: Prof. Muhammad 'Abduh Hatamla, Prof. Muhammad Jassim al-Mashhadani. Amman (in Arabic): Alwatania Library.
- Ibn Athir, A. (1979). Al-Kamil fi al-Tarikh. (Vols. 13). Beirut (in Arabic): Dar Sader.
- Ibn Habib, A. (n. d.). Al-Mahbir. Narrated by: Ibn Said Al-Hasan ibn Abi Al-Hasan al-Sukkari. Correction: Dr. Ilza Lichtenstein Schtiter. Beirut (in Arabic): Dar Al-Afak Al-Jadidah.
- Ibn Iyas, M. (2003). Bada'i al-Zuhur fi Waqa'i al-Duhur. (1st ed). (in Arabic). Cairo (in Arabic): Dar al-Manar.
- Ibn Kathir, A. (1985). Al-Bidayah Wal-Nihayah. (1st ed). (Vol. 1). Edited by: Ahmed Abu Malham and others. Beirut (in Arabic): Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah.
- Ibn Kathir, A. (n. d.). Qisas Al-Anbiya'. (1st ed). Beirut (in Arabic): Dar Al-Fikr.
- Ibn Manzur, M. (n. d.). Lisan al-Arab. (Vol. 15). Beirut (in Arabic): Dar al-Fikr.
- Ibn Taymiyyah, T. (n. d.). Tafsir al-Kabir. (Vol. 5). Edited by: Abdul Rahman Amira. Beirut (in Arabic): Dar al Kutub al-Ilmiyah.
- Qutb, S. (1971). Fi Dhilal Al-Quran. (2nd ed). (Vol. 12). Beirut (in arabic): Dar Al-Shorouk.
- Sawsa, A. (1981). Mufassal Al-Arab Wal-Yahud Fil Tarikh. (5th ed). Iraq (in Arabic): Ministry of Culture and Information.
- Wekpidia: https: //ar. wikipedia. org/wiki/%D8%A3%D8%AA%D8%B1%D8%AC